41 - السيدة أم عبد بنت عبد ود

إسلام ابنها

تزوَّجت أم عبد بنت عبد ودّ من مسعود بن غافل، وولدت له ولدين هما: عبد الله، وعتبة، ابنا مسعود، ثم وافته المنية دون أن يترك لهم شيئاً من المال يسد حاجاتهم، واضطر عبد الله إلى رعي غنم عقبة بن أبي معيط أحد وجهاء قريش، لقاء أجرٍ زهيدٍ يبلغه وأسرته عيش الكفاف.

وحين سمع عبد الله عن بعثة النبي ﷺ راح يسأل عن مكانه حتى يلقاه، فقيل له: يمكن أن تراه إما في بيته، وإما في المسجد الحرام.

وقد روى الإمام أحمد عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ غُلاماً يَافِعَاً أَرْعَى غَنَماً لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه وَقَدْ فَرَّا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالاَ: يَا غُلامُ، هَلْ عِنْدَكَ مِنْ لَبَنٍ تَسْقِينَا؟ قُلْتُ: إِنِّي مُؤْتَمَنٌ، وَلَسْتُ سَاقِيَكُمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَلْ عِنْدَكَ مِنْ جَذَعَةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ؟**» قُلْتُ: نَعَمْ، فَأَتَيْتُهُمَا بِهَا، فَاعْتَقَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ وَمَسَحَ الضَّرْعَ، وَدَعَا فَحَلَ الضَّرْعُ ثُمَّ أَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ بِصَخْرَةٍ مُنْقَعِرَةٍ، فَاحْتَلَبَ فِيهَا، فَشَرِبَ وَشَرِبَ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ شَرِبْتُ، ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ: «**اقْلِصْ**» فَقَلَصَ، فَأَتَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ، قَالَ: «**إِنَّكَ غُلامٌ مُعَلَّمٌ**» قَالَ: فَأَخَذْتُ مِنْ فِيهِ سَبْعِينَ سُورَةً لا يُنَازِعُنِي فِيهَا أَحَدٌ[1].

(1) رواه: أحمد/كتاب: باقي مسند المكثرين/باب: مسند عبد الله بن مسعود/برقم: (4180).

إسلامها

وآمن عبد الله وأمه وأسلما، ولما علم عقبة سيده جاء إلى أم عبد وقال لها: أصحيحٌ أنكما صبوتما؟ قالت أم عبد: بل آمنَّا بمن جاءنا بخيري الدنيا والآخرة، فأدرك نفسك، والحق به قبل أن يأتيك أجلك فتكون من الخاسرين.

ولكن عقبة اختار أن يكون في صفِّ المعادين لرسول الله ﷺ، وبات ينافس أبا جهلٍ في إلحاق الأذى بالنبي ﷺ حتى تجرَّأ على وضع سلي الجزور على ظهره الشريف وهو ساجدٌ بين يدي ربه، وظل يتمادى في شره وأذاه حتى قتله الله يوم بدرٍ مع ثلة من سفهاء قريش، كان من أبرزهم أبو جهلٍ وابنا ربيعة عتبة وشيبة والوليد بن عتبة وأُمية بن خلف.

وعلى الرغم من صغر جسد عبد الله بن مسعود ونحول جسمه إلاَّ أنه تحدَّى جبروت قريش وكبرياءها، حين وقف في المقام على مرأى ومسمع من قريش وجهر بتلاوة القرآن، فقام إليه بعض فتيانها وضربوه حتى كادوا يهلكونه، فلما أتى أصحابه، قالوا له: هذا ما خشيناه عليك، فقال: ما كان أعداء الله أهون عليَّ منهم الآن، ولئن شئتم لأعودنَّ لمثلها غداً، فقالوا له: لقد أسمعتهم ما يكرهون، فحسبك ذلك.

وكان عبد الله ينقل إلى أمه كل ما يسمعه من النبي ﷺ، واجتهد في العبادة والجهاد حتى أصبح من كبار الصحابة، وأمكنه الله من قتل أبي جهل يوم بدر.

هجرتها إلى المدينة

وقد هاجر ابن أم عبد وأمه إلى المدينة مع المهاجرين، وفي المدينة لزما رسول الله ﷺ حتى كادا يصبحان من أهل بيته لشدة لزومهما له، فَعَنْ أبي مُوسى ﷺ قَالَ: قَدِمْتُ أَنَا وَأَخِي مِنَ الْيَمَنِ، فَمَكَثْنَا حِيناً مَا نُرَى ابْنَ مَسْعُودٍ وَأُمَّهُ إِلاَّ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ مِنْ كَثْرَةِ دُخُولِهِمْ وَلُزُومِهِمْ لَهُ[1].

(1) رواه: البخاري/ كتاب: المغازي/ باب: قدوم الأشعريين وأهل اليمن/ برقم: (4033).

ولقد بلغ فضل ابن أم عبد درجة جعلت رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ عَنْهُ: «**لَوْ كُنْتُ مُؤَمِّراً أَحَداً مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنْهُمْ، لأَمَّرْتُ عَلَيْهِمْ ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ**»[1].

وقد أكَّد عمرو بن العاص حبَّ رسول الله ﷺ لابن أم عبد فيما رواه الإمام أحمد قَالَ: جَزِعَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عِنْدَ الْمَوْتِ جَزَعاً شَدِيداً، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو قَالَ: يا أَبَا عَبْدِ اللهِ، مَا هَذَا الْجَزَعُ وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُدْنِيكَ وَيَسْتَعْمِلُكَ؟!! قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، قَدْ كَانَ ذَلِكَ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ ذَلِكَ، إِنِّي وَاللهِ مَا أَدْرِي أَحُبًّا ذَلِكَ كَانَ أَمْ تَأَلُّفاً يَتَأَلَّفُنِي؟ وَلَكِنِّي أَشْهَدُ عَلَى رَجُلَيْنِ أَنَّهُ قَدْ فَارَقَ الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُمَا: ابْنُ سُمَيَّةَ، وَابْنُ أُمِّ عَبْدٍ[2].

لقد وفى عبد الله وأمه أم عبد بعهد الله وعهد رسول الله ﷺ حتى جاءهما الأجل، رحمهما الله تعالى.

(1) رواه: الترمذي/كتاب: المناقب عن رسول الله ﷺ/باب: مناقب عبد الله بن مسعود/برقم: (3744).

(2) رواه: أحمد/كتاب: مسند الشاميين/باب: حديث عمرو بن العاص عن النبي ﷺ/برقم: (17113).

obeikandl.com